د . صبحي الصالح

العربية والتعريب

تمهيـــد

في شوال ١٣٨٨ هـ وزع المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي استفتاء حول مدى الارتباط بين انتشار الاسلام وازدهار لغة العرب . واتجهت جمهرة الاجوبة الى ان الاسلام مهد لعالمية اللغة العربية اداة علم وحضارة (١) ، فانتشرت هذه اللغة بفضل المد الحضاري الاسلامي (٢) ، واتسعت شبكتها باتساع نفوذ القرآن (٣) ، الى الحد الذي يسعنا معه ان نقول : لولا الاسلام لكانت العربية مجرد لهجة (٤)، فما حماها ولا صانها وخلدها الا القرآن (٥) .

ذلك اذا شأن العربية في ماضيها ، تحولت بفضل الاسلام لغة عالمية ، لغة علم وفن وفلسفة وحضارة مثلما كانت بنزول القرآن بها لغة شرع ودين . ولكن ، هل هذا شانها الان في العصر الحديث ؟

ما من ريب في ان الوازع الديني قد ضعف وتضاءل ، بسبب النزعات القومية التي باتت تسود اكثر مناطق العالم ، ومن بينها بصورة حتمية البلاد العربية التي كاد معظمها يرتبط بالقومية اوثق من ارتباطه بالدين : فالبيئات العربية الخالصة في سورية ولبنان ـ برغم تباعدها عن الوعي الاسلامي الصحيح ـ ما تنفك تعنى بالعربية الفصحى افضل العناية ، لانها في نظر انصارها جزء ضخم من التراث القومي الذي لا يجوز التفريط بشيء منه (٦) .

ولئن سلم هذا الرأي من بعض الوجوه فمن العسير ان يسلم من جميع الزوايا على وجه الاطلاق . والاحكم والاقرب الى المنطق عندنا هو نفي التعارض بين انتشار العربية قوميا ودينيا في آن واحد ، فلا مسوغ للتقليل من اهمية الوازع الديني ، مهما يكن قد طرأ عليه من ضعف ووهن لمجرد التباهي بالتراث القومي واعتباره العامل الوحيد في كل ما بدأت تصيبه العربية من ازدهار مع حركة النهضة منذ اوائل القرن التاسع عشر : تدل على ذلك الوقائع التاريخية والحقائق السياسية التي ما نزال نعيشها في العالم العربي كله بوجه خاص ، وفي العالم الاسلامي برمته بوجه عام. اما الماضي فيؤكد ان لغة القرآن محت القبطية في مصر ، والبونيقية في السودان الافريقي ، والنبطية في العراق ، واللاتينية في الشام » (٧) ، وان اهم الدول العربية انما تعربت بفضل القرآن (٨) ، واما حاضرنا فيؤكد انه لولا تأثير الدين الاسلامي في الفارسية والتركية والاردوية مثلا لما ظلت العربية محتفظة بمكان الصدارة حتى في مواجهة اللغات المستعربة الدائرة في فلكها (٩) . بيد ان الخطر الحقيقي في افراد الاتجاه القومي في كل نهضة لغوية عربية انما يتمثل في انتفاء الحاجة الى التعريب والاكتفاء بعملية الترجمة ، ما دامت غايتنا الوحيدة تنحصر في نقل المصطلحات العلمية والفنية واثراء لغتنا بما ينقصنا من وسائل التعبير . ولا يكون مثلنا في حال كهذه الا كمثل الفرنسيين الذين يفرقون بين الترجمة والفرنسة ، أو كمثل الطليان الذين يميزون بين الترجمة والطلينة ، وهكذا ... الا ان هؤلاء الاقوام ـ تبعا لطبيعة لغتهم ـ قد تكفيهم الترجمة ولا يحتاجون مثلنا نحن العرب الى دقة التفرقة بين عملية الترجمة للمعاني والافكار والعلوم وعملية النقل الى اوزان لغتهم وصيغها ، لان النسيج اللغوي ـ كما سنوضح ـ مختلف كل الاختلاف بين طرائق التعبير هنا وهناك.

ومهما يكن من شيء ، فان العقلاء من القوميين العرب ـ مهما يبالغوا في اعتبار القومية هدفا نهائيا ـ لن يرتكبوا هذا الخطأ ، ولن يحولوا الى الوعي القومي وحده كل سياسة التعريب ، وهم جميعا يقرون بان اكبر تراث للعرب هو الاسلام . وواضح من وراء هذا كله انه لا بد لنا ـ كي نبلغ بالتعريب وجهه الاكمل ـ من أن نأخذ بعين الاعتبار كلا من الوعي الاسلامي والنزعة القومية ، ولا سيما لدى تقصينا لطبيعة العربية في نقل العلوم واشتقاق المصطلحات لكل ما نحن بحاجة اليه. وذلك يعني أن علينا ان نربط بين ماضينا وحاضرنا ، فنفرق اليوم كما فرقوا بالامس بين عمليتي الترجمة والتعريب ، وان نكثر من نقل العلوم بكل وسيلة نملكها كما فعل علماؤنا القدامى عندما قامت حركة النقل لديهم على قدم وساق في كل الميادين ، ولا سيما في عصر المأمون الذي

---

(١) مجلة اللسان العربي ، العدد السادس ، شوال ١٣٨٨ هـ (انظر رأي الاستاذ روكس بن زائد العزيزي ص ١١٨) .
(٢) اللسان العربي ٢٣٧ (رأي الاستاذ عبد العزيز حسين) .
(٣) الاستاذ نديم الملاح ١٤٢ .
(٤) الاستاذ محمد الحاج صدوق ٢٨٤ .
(٥) الدكتور احمد شوكت الشطي ١٨٠ .
(٦) انظر في هذا رأي الدكتور عبد العزيز مطر في اللسان العربي ص ٢٢٣ وكذلك رأي الدكتور عمر الدقاق في اللسان أيضا ص ١٩٠ .
(٧) هذا رأي الاستاذ محمد عبدالسلام هارون في اللسان العربي ص ٢١٩ .
(٨) انظر رأي الاستاذ مفتي محمد شفيع مدير دار العلوم بكراتشي ـ اللسان العربي ص ١٤٣ .
(٩) اوضح هذا الرأي الدكتور محمد يوسف من جامعة الباكستان، نفسه ١٤٥ وأتى في هذا الصدد بادلة وحجج يصعب نقضها .

بلغت فيه تلك الحركة أوجها ابتغاء الدقة في نقل مصطلحات الطب والطبيعة والفلك والكيمياء والفلسفة والرياضيات ، واهم الفاظ الحضارة والعلوم والفنون (١٠) .

ولقد استقصى الامير العلامة مصطفى الشهابي تلك المصطلحات التي نقلت الى العربية بطريق الترجمة تارة وبوسيلة التعريب تارة اخرى ، في كتابه القيم : « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » . وبرغم ما توالى على الحياة البشرية من مصطلحات انشاها التسارع « التكنولوجي » والحضاري منذ مطلع السبعينات في القرن العشرين ، ما تزال القواعد العامة التي اتبعها النقلة في وضع المصطلحات ، والتي لخصها الامير الشهابي ادق التلخيص ، هي الوسائل التي لا بد لنا من استخدامها في عمليات الترجمة والتعريب في عصرنا الحديث .

ونحن مع الامير الشهابي في ان تلك القواعد لا تخرج عن هذه الوسائل الاربع .

ا) تحوير المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية ، وتضمينها المعنى العلمي الجديد .

ب) اشتقاق كلمات جديدة من اصول عربية او معربة للدلالة على المعنى الجديد .

ج) ترجمة كلمات اعجمية بمعانيها .

د) تعريب كلمات اعجمية بمعانيها . (١١)

ومن خلال هذه القواعد نستخلص عدة حقائق لغوية ، تتصل بطبيعة العربية في كل عملية من عمليات النقل التي نريد ان نثريها بها.

اولا : ان الترجمة ليست في العربية اكثر من ايراد المعاني التي تتضمنها الكلمات الاعجمية المنقولة . وتكون الترجمة ، بهذا الاعتبار ، صفة لغوية مشتركة بين العربية وسائر اللغات الانسانية ، اذ لم تكن العربية بدعا من لغات الانسان ، فهي جميعا تتبادل التاثر والتاثير ، وهي جميعا تقرض غيرها وتقترض منه ، متى تجاورت او اتصل بعضها ببعض على اي وجه ، وباي سبب ، ولاية غاية . ومن يرم العربية مقصورة على الاعراب ، محبوسة عن الترجمة ، ويزعم انها بصيغها وانواع اشتقاقها وحدها اعربت عن خصائصها الذاتية ، وانها ان ادخلت على نفسها بالترجمة مصطلحات الحضارة شوهت محاسنها وفقدت خصائصها وانكرت نفسها بنفسها ، فليس يريد لهذه العربية الا الموت وليس يعيش بعربيته الا في روح من العاج بناها له خيال سقيم !(١٢)

ثانيا : ان التعريب ــ مع انه غير الترجمة ــ ربما يشبهها في بعض الحالات التي تنقل فيها الكلمات الاعجمية بمعانيها . الا ان العملية تختلف اختلافا بينا هنا وهناك : فانزال الالفاظ المنقولة على احكام العربية ، وسبكها في قالب من قوالبها ، واشتقاق صيغ جديدة او بسط الدلالة في بعض معاني الصيغ لتحويرها وتضمينها المدلول الجديد المقترح ، كلها عمليات لغوية ادخل في التعريب منها في الترجمة، وهي من اجل ذلك امس رحما بهذه اللغة المرنة المطواع .

ثالثا : ان العمل الاشتقاقي الذي يسود حركة التعريب هو الذي اتاح للعربية في القديم وما يزال يتيح لها في الحديث ان تلد كل لحظة مولودا جديدا ، وان تلبي للاحياء ادق مطالب التعبير « لكننا ــ سواء الاحظنا قوالب المشتقات ام لم نلاحظها ــ لا يخفى علينا ان حركة الاشتقاق الدائمة تنشىء لمشتقاتها صيغا مقدودة على قدها ، مرسومة على حدها ، لا شيء اكثر شبها بها من القوالب التي تصنع على مثالها السبائك الذهبية : ففي العربية اذا ظاهرتان متعاكستان ، وهما على تعاكسهما متداخلتان متكاملتان . ظاهرة الحركة الاشتقاقية فيما تلده وتحييه وظاهرة الصياغة القالبية فيما تسبكه وتبنيه » . (١٣)

رابعا : ان تحوير المعنى القديم ، او بسط الدلالة في البناء القديم سواء اتناول الصيغ الاسمية او الفعلية او الوصفية ، يدل دلالة قوية على مرانة العربية وسعتها ، كان صيغها القديمة التي بلغت عند ابن القطاع (١٤) الف مثال ومئتي مثال وعشرة امثلة (١٢١٠) لم تكن برمتها كافية لادخال المصطلحات الجديدة في قوالبها ، ما دام بعض المطبوعين من المحدثين لا يرون ضيرا في اقتراح صيغ وابنية جديدة تختلف عن القديمة المحفوظة في تحريك وتسكين ، او في طول وقصر ، او في نحت والصاق ، مهما يكن الترقيع فيها كلها واضحا جليا .

خامسا : ان الاشتقاق عند اهل العلم بالعربية لا ينحصر في اخذ بعض الالفاظ من بعض ، او في توليد الفروع من الاصول ، كما هو شان الاشتقاق في جمهرة اللغات الانسانية ، بل هو في العربية صور واشكال وانماط ، ربما كان اقل ما يعنينا منها في مثل هذا المقام هو الاشتقاق الاصغر او الاشتقاق العام او الاشتقاق العادي الذي يتكلم عليه الصرفيون ، وربما كان اكثر ما يعنينا منها واقوالها تعبيرا عن خصائص لغتنا عند الترجمة او التعريب هو النحت والالصاق او ما يعبر عنه ايضا بالاشتقاق الكبّار ، فيمقابل كلمن الاشتقاقين اللغويين الاخرين : الكبير والاكبر .

سادسا : قبل ان نفيض في توضيح ضروب الاشتقاق المتنوعة ،من كبير واكبر وكبّار ،في الحدود التي يسمح بها هذا المجال ،وقبل ان نبرز الفروق الدقيقة بينها ، ونميط اللثام عن الاوجه التطبيقية العملية لكل منها على حدة ، لا مناص لنا من التنبيه الى وهم فاسد يوشك اكثرنا ان يقع فيه ، عندما تجمح بنا عاطفتنا القومية طورا والدينية طورا اخر ، الى المبادرة العجلى « اللاوعية » و « اللامسؤولة » للاكثار من التعريب ، جاهلين او متجاهلين ان هذا التعريب لا يجوز ان يكون مقصودا لذاته ، لانه وسيلة وليس بغاية ، ولانه ضرورة تقدر بقدرها وليس معيارا ثابتا يقاس عليه بصورة دائمة .

وتبيانا لذلك يطيب لنا ان نردد مع مونين Mounin ان اللغة ليست اكثر من اداة اتصال بالتجربة الانسانية واداة تحليل لها. وهذه التجربة نفسها عرضة للتغاير والاختلاف بين مجتمع واخر ، وبين بنية واخرى (١٥) ، ونخلص مع هذا اللغوي الكبير نفسه الى ان ما ننشده من كل لغة انسانية ، ومنها لغتنا العربية الفصحى ، هو تحديد رؤيتنا للحقائق والاشياء ، وللكون والحياة ، وللانفس والافاق ، وفاقا لما صرح به مارتينه Martinet في قوله الموجز الواضح : « انما نتوخى من اللغة ان نتمكن بوساطتها من تحديد رؤية كل منا للعالم الذي يحيط به » (١٦) وفي هذا المعنى نفسه يقول كاسيرر : « ان الانسان لا يدرك العالم ولا يفكر فيه بوساطة التعبير فحسب ، بل توشك رؤيته للعالم ان تكون محددة قبل بالتعبير » (١٧) .

سابعا : ما دامت اللغة وسيلة لتحديد الرؤية ، واداة للتعبير عن المعارف الانسانية ، تاملية كانت ام تجريبية ، فان لجوءنا الى التعريب (بانزال الالفاظ الاعجمية على احكام العربية مع الاحتفاظ بصياغتها (الصوتية الاصلية)لا يجوز ان يكونمرتكزا تعبيريا لنا الا عند الضرورة. ولسوف يكون منا هذا الموقف التروي الرصين منسجما مع القرار الحكيم الذي اتخذه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ونصه : « يجيز المجمع

---

(١٠) قارن بالمصطلحات العلمية للامير مصطفى الشهابي ٢٣ .

(١١) المصطلحات العلمية ٢٤ .

(١٢) انظر كتابنا (دراسات في فقه اللغة) ٣١٥

(١٣) كتابنا « دراسات في فقه اللغة » ٣٢٨ .

(١٤) المزهر للسيوطي ٤/٢ .

(١٥) G . Mounin . Les problémes Théorique de la traduction . nrf 1963 . P . 58 - 59

(١٦) Ibid . P . 50

(١٧) Ibid . P . 44

ان يستعمل بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم » (١٨) .

اما قبل تحقق هذه الضرورة فالترجمة الدقيقة تقوم مقام التعريب اذا تحرى الناقل العليم باسرار العربية اللفظ العربي الانسب لاداء مدلول اللفظ الاعجمي . فنحن نترجم مثلا Microscope بالمجهار . و Den simétre بالمكشف ، و Florieulture بزراعة الازهار، (١٩) ، وهكذا .

وقد علق الامير الشهابي على قيد « الضرورة » بقوله : « ارى ان قيد « الضرورة » الذي وضعه المجمع للتعريب هو ضرورة : اقول هذا لانني عارف بسخافات بعض اساتيذ العلوم الحديثة ، الذين عربوا الفاظا علمية اعجمية ، كان في استطاعتهم ان يجدوا لها الفاظا عربية مقبولة بقليل من الجهد ، ومن المعرفة باصول تلك الالفاظ الاعجمية وبمعانيها » (٢٠) .

ثامنا : لا بد لنا ان نبدي اسفنا الشديد للذين يخلطون ـ وهم في اوج حماستهم القومية ـ خلطا مضحكا بين الترجمة والتعريب . انهم اولئك الذين يتوهمون ان مجرد الترجمة ،على اي صورة تتم ، هي تعريب محض ، يستحيل في نهاية المطاف تمليكا للعربية ما لم تك من قبل تملكه ملكا ذاتيا اصيلا ، مع ان التعريب الذي كان عليهم ان يلتمسوه في هذا المضمار هو تحويل اللفظ الاعجمي عربيا او بمنزلته ... ولو ادركوا هذا منذ البداية لالتزموا ـ دون تردد ـ الكف عن استعمال اللفظ المعرب ، اذا كان له اسم في لغة العرب ، احياء للفصيح وقتلا للدخيل ، كما كان يفعل اسلافنا من ائمة اللغة ورجال العلم الخالدين . ولقد عقد السيوطي فصلا ممتعا في « المزهر » للمعرب الذي له اسم في لغة العرب ، نقل فيه امثلة من كتب اللغة المختلفة تشهد بان العرب عرفت مثلا في لسانها المفد قبل ان تعرب الباذنجان (٢١) ، والحرض قبل الاشنان (٢٢) ، والصرفان قبل ان تعرب الازرز بالرصاص (٢٣) ان طائفة من تلك الاسماء عربتها العرب او تركتها كما هي (٢٤) ، ولكنها غالبا مما له اسم في لسان العرب رغم تعريبها اياه (٢٥) . وثمرة هذا كله اننا ـ لكي نحيي العربيات الفصيحات ـ لا بد لنا من قتل الاعجميات الذميمات .

والشواهد التي نذكرها في هذا المقام كافية بحد ذاتها لحملنا على الكف عن استعمال اللفظ المعرب ما دمنا نجد مقابله في لسان العرب : ان السكرجة تسمى عند العرب « التقوة » ، والياسمين يسمى « السمسق » ، والنرجس يدعى « العبهر » ! (٢٦) فاذا اردنا اليوم تطبيق هذا المقياس السليم على الفاظ اعجمية ننقل مدلولاتها الى العربية ، في اي باب من ابواب المعرفة الانسانية ، لم يكن لنا ان نذعر من مجرد العودة الى رصيدنا اللغوي الضخم الذي قد نجد فيه مدلولا مكافئا او مساويا او شديد الشبه ـ وان لم يكن تام الشبه من كل وجه ـ في لفظ عربي صميم من الفاظنا التي امتنت بسبب الهجر والاهمال . وكاي في الفاظنا من مستعمل قد هجر ، مع ان في وسعنا احياءه من جديد .

تاسعا : علينا ان نعترف ـ سواء أأحببنا ام كرهنا ـ بان انتشار اللغة (اي لغة كانت) ـ رهن بمدى اسهامها في الواقع الحضاري ، ومشاركتها في تملك معنى اللفظ قبل اقتراح صياغته ، مهما تكن تلك الصياغة ، وذلك يعني ان كل تخلف توصم به لغتنا مثلا ينحصر في الباحثين العرب لا في اللغة العربية .

اني اوافق من قال : « لا تصير العربية علمية من طريق التعريب »، لان عملية التعريب ليست لعبة لفظية ، ولا زخرفة جمالية ، ولا انفعالات عاطفية ، ولا همسات شعرية ، ولا انغاما موسيقية ، ولا شعوذات سحرية ، ولا شطحات صوفية ، انها على العكس من ذلك عملية علمية، منهجية ، واقعية ، (٢٧) بل هي انسانية شاملة ابهت ما فيها الالوان المحلية والاقليمية وحتى القومية ، وابرز ما فيها وأصله واخلده وابقاه الالوان الحضارية العالمية التي تؤمن بان العلم لا ارض له ، ولاوطن له، وان الانسان اخو الانسان في كل زمان ومكان .

عاشرا : من اجل ذلك اراني شخصيا أوافق على التعريب المدروس لا المرتجل الجزئي لا الكلي ، الذي يفسح في جميع مراحل التعليم مكانا رحيبا للغة اجنبية تثقيفية على الاقل بجانب لغتنا العربيةالفصحى، لغة القرآن ، لان وطنا في العالم لن يستطيع بعد اليوم ان يحبس نفسه في قوقعته ، والناس عن يمينه ويساره لا يقنعون بخيرات الارض بل ينشئون المحطات في الفضاء اللامتناهي الفسيح !

لكني لا اوافق ابدا على الشعور بالانهزامية ، وعلى وصم العربية بالتخلف والرجعية ، ولا سيما بعد ان بدأت في السنين الاخيرة تتكامل في اجهزتها العلمية والتعليمية وسائل القدامى ووسائل المحدثين لشؤون النقل والتعريب ، حتى ليوشك ان نتوهم ان قدامى لغوييننا ما يزالون أحياء بين ظهرانينا في القرن العشرين ، او ان علماءنا المعاصرين ما يبرحون يولدون الالفاظ ويضعون المصطلحات مع ائمة اللغة الاولين القابرين .

حادي عشر : ان التسابق الى حركة التعريب ، بدون خطة متكاملة مدروسة ، ولا سيما اذا اقتصر على التعريب الحرفي للمصطلحات المطلوب نقلها ، يوسع شقة الخلاف القائم في المصطلحات بحيث يكون في العالم العربي من اللغات العربيات عدد مماثل للغات الاجنبية المنتشرة فيه (٢٨).والافضل اذا ان نقصر التعريب على الالفاظ الدولية للمصطلحات العلمية المستعملة بالفاظها اللاتينية في جميع لغات العالم. اما بقية المصطلحات فلن تعجز العربية عن توليد اللفظ الملائم لها عن طريق الاشتقاق .

وفي هذا الصدد يلاحظ ان بعض علمائنا المعاصرين لا يجدون بأسا في قبول طائفة من المصطلحات العلمية بالفاظها اللاتينية اسوة بجميع اللغات الحية ، ومن بينها الروسية برغم تقدمها العلمي والتكنولوجي : فلا داعي لانفراد العرب بنقل تلك المصطلحات ـ ولو نقلا غير دقيق ـ من اللاتينية الى العربية ، دون طائل ولا جدوى . والى هذه النقطة بالذات نبه المستشرق الفرنسي شارل بيلا Charles Pellat عندما كتب

---

(١٨) المصطلحات العلمية ٦٧ .
(١٩) نفسه ٦٦ .
(٢٠) نفسه ٦٣ .
(٢١) عن امالي ثعلب . قارن بالمزهر ٢٨٤/١ .
(٢٢) عن صحاح الجوهري ، وقارن بالمزهر ٢٨٣/١ .
(٢٣) الرواية هنا عن ابن درستويه في « شرح الفصيح » . انظر الزهر ٢٨٤/١ .
(٢٤) انظر فقه اللغة (للثعالبي) فصل في سياقة اسماء تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب الى تعريبها او تركها كما هي (ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥) .
(٢٥) المزهر ٢٨٣/١ .
(٢٦) المزهر ٢٨٤/١ .

(٢٧) من محاضرة لنا في النادي الثقافي بجبيل ، اغسطس ١٩٧٠ . وقد اشرنا الى نظير هذا في محاضرتنا بطرابلس ليبيا (يوليو ١٩٧٣) عن ضرورة الحفاظ على اللغة العربية في الوطن الاسلامي ، في مؤتمر الشباب العالمي الاسلامي ، الذي دعيت اليه جمعية الدعوة الاسلامية .

(٢٨) وحينئذ تكون مصطلحات مصر والعراق والاردن مثلا انكليزية اللفظ ، ومصطلحات سورية ولبنان وبلدان الشمال الافريقي العربي فرنسية اللفظ ، فتكثر بهذا السبب اللغات الاقليمية وتتسع بينها مع الايام شقة الخلاف .

يقول : « يعلم الجميع ان علماء النبات والحيوان يستعملون في العالم اجمع اسما ونعتا لاتينيين لكل جنس ونوع من النبات والحيوان ، فهذه الاسماء والنعوت مجمع عليها كما قلت في العالم كله ، والروس انفسهم الذين يكتبون بخط خاص يذكرون لكل حيوان ونبات اسمه ونعته باللاتينية » (٢٩) .

ثاني عشر : وقد تعترضنا هنا مشكلة اختلاف المصطلحات التي تم تعريبها في بعض البلدان العربية ، او التي اقترحها مكتب التنسيق لشؤون التعريب التابع لجامعة الدول العربية ، والذي مركزه الرباط، وذلك في بعض المعجمات التي انجزها في السنين الاخيرة بنشاط ملحوظ مشكور . لكن لهذه المشكلة حلا عمليا يمكن تبنيه عن طريق الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وعن طريق المجامع العلمية واللغوية القائمة اليوم في القاهرة ودمشق وبغداد . فليس عسيرا ان نضع حدا لاختلاف الاصطلاح العلمي اذا سعينا لايجاد مجمع عربي لغوي وعلمي موحد ، وعقدنا مؤتمرات علمية بالتعاون مع المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، ابتغاء الوصول الى الوحدة الثقافية العربية ، ووضع مقاييس عامة لايثار مصطلح على اخر حتى تكتب له السيرورة . ومن المعروف انه اقيم في الجزائر سنة ١٩٦٤ مؤتمر لهذه الغاية شاركت فيه جميع الدول العربية . واذا لم يكتب للمحاولة النجاح الكامل في ذلك الحين ، فلا مانع من اعادة الكرة في محاولة جديدة . (٣٠)

ثالث عشر : قد يكون من المفيد هنا ان ننوه بافتقارنا الى مراجع علمية عربية لتدريس جميع العلوم على المستوى الجامعي . ومما يعين على حل هذه المشكلة العويصة اسهام الدول العربية عن طريق جامعتها بتمويل مشروع على جانب عظيم من الاهمية . الا وهو اصدار معجمين عربيين ، احدهما لغوي والاخر علمي تعدهما الهيئات العلمية واللغوية في الوطن العربي . وان واقع التدريس الجامعي في كثير من البلدان العربية ليؤكد اليوم انا قطعنا اشواطا في هذا الصدد ، « فالدراسات القانونية والاجتماعية بوجه عام انما تدرس باللغة العربية ، وكذلك الدراسات العلمية من طبيعة وهندسة ورياضة ، بل يدرس في جامعات جمهورية مصر العربية نظريات الذرة والاليكترونات باللغة العربية، ولم يبق الا بعض الدراسات العلمية التي لم تستكمل وسائلها في المكتبة العربية » . (٣١)

وعندما يتم وضع المعجمين اللذين اشرنا اليهما آنفا فسوف نؤيد كل التاييد استعمال الكلمات المدونة فيهما ، على حالها التي وردت عليها ، ولو كان لدى المؤلفين افضل منها ، « على ان يبين المؤلف في اخر كتابه او في هوامشه نقده والكلمة المفضلة لديه لتنظر فيها لجنة المعجم فتقرها اذا اقتنعت بها في الطبعة الجديدة ، ويقضي ذلك بان يطبع المعجم لا اقل من مرة كل ثلاث سنوات » (٣٢) .

رابع عشر : وابتغاء الدقة في نقل المصطلحات ، ولا سيما من طريق التعريب اذا اقتنعنا بضرورة اللجوء اليه عندما لا نجد مندوحة عنه بالترجمة الصحيحة ، جدير بنا الا ننسى ما كررناه في بحثنا في اكثر من موطن ، لاهميته الكبرى ، من وجوب انزال المعرب على اوزان العربية ، لنبلغ في ذلك ما بلغه اسلافنا من ائمة اللغة من القدرة على التصرف في الكلمة المعربة واعمال مباضع الاشتقاق في بنيتها ، فنحن نعلم انهم قالوا في زندیق . زندقة وتزندق ، وفي سردق : بيت مسردق ، (٣٣) مثلما قالوا في الديوان : دون تدوينا ، وفي النوروز: نورز ينورز .

ومن تنزيل الكلمة الاعجمية على احكام العربية ان نختار لتعريبها وزنا يشبه بعض الاوزان العربية ، فكلمة (Physique) يمكن ان تترجم بعلم الطبيعة ، ولكن الترجمة ليست دقيقة ، وخير منها تعريب اللفظة نفسها منتهية بالالف الممدودة نكيلا يضيع اصل التسمية ،فنقول « الفيزياء » ، على نحو ما قال الاستاذ العلامة عز الدين التنوخي في كتابه « مبادىء الفيزياء » فقد نبه الى انه « لم يراع في الاصطلاح الا الانضل مما تشتد اليه مسيس الحاجة ، ولو كانت الكلمة اعجمية الاصل : فانها اذا ما تعربت بنزولها على احكام العربية خفت على اللسان وعذبت بصقله اياها في البيان : يدل على ذلك مثلا اسم الكتاب (مبادىء الفيزياء) » (٣٤) .

والعليم باسرار هذه اللغة لا يختلط عليه الاعجمي والعربي ، ولا يلتبس عنده الاصيل والدخيل ، فان للكلمة العربية نسيجها المحكم وجرسها المتناسق ، وايقاعها المعبر . ولم يضن علينا ائمة العربية بمقاييس نعرف بها عجمة الاسم ، لكي نتناوله بالتغيير ان شئنا صياغته على اوزان العربية ، او نعرف حقيقته على الاقل ان آثرنا تركه على لفظه دون تبديل فيه (٣٥) .

واكثر هذه المقاييس يقوم على النقل والسماع ، فبنية الكلمة وحدها تسمها بالعربية او بالعجمة ، وحسبك ان تردد في سمعك لفظ « ابريسم » لترى ان وزنه مفقود في العربية . ولن تجد كلمة عربية اولها نون ثم راء مثل « نرجس » ولا اخرها زاي بعد دال مثل « مهندز » ، او كلمة يجتمع فيها الصاد والجيم نحو « الجص » ، او يجتمع فيها الجيم والقاف نحو « المنجنيق » (٣٦) . ولن تجد كلمة رباعية او خماسية عارية عن حرف او اكثر من حروف الذلاقة (٣٧) . فانها متى كانت عربية فلا بد ان يكون فيها حرف ذلقي ، نحو سفرجل ، وقد عمل (٣٨) .

خامس عشر : واذا كنا في بحثنا هذا لا نسيغ لانفسنا ان نتعرض لبعض المسائل الاشتقاقية المتعلقة بالقلب والابدال في كل من الاشتقاق الكبير والاشتقاق الاكبر ، مخافة التحول في ندوتنا هذه عن العربية وطبيعتها في عملية التعريب الى ما يشبه الدراسة « الاكاديمية » او الجامعية التي ليس موضعها في مجال كهذا ، فلا مفر لنا بشكل خاص من الاشارة الى لون من الاشتقاق فريد : هو النحت والالصاق او الاشتقاق الكبّار ، لان كثيرين توهموا قلته في العربية ، حتى وسع بعضهم انكار الافادة منه على وجه الاطلاق . وقد حملنا

---

(٢٩) انظر في اللسان العربي ص ٥٤ بحث هذا المستشرق بعنوان (اللغة العربية والعالم الحديث) .

(٣٠) انظر كتابنا « دراسات في فقه اللغة » ص ٣٥٣ (الطبعة الخامسة) .

(٣١) هذا ما افتى به مجمع اللغة العربية في القاهرة تحت عنوان « حتى علوم الذرة والالكترونات تدرس باللغة العربية » ، لما استفتاه المكتب الدائم لتنسيق التعريب ـ انظر اللسان العربي ص ٩٨ . وذلك ايضا ما اقترحه المجلس الاعلى للجامعات في القاهرة تحت عنوان (ضرورة التعجيل بتعريب التعليم) ، انظر اللسان العربي ايضا ص ١٠٥ .

(٣٢) هذا هو اقتراح الدكتور احمد شوكت الشطي الاستاذ في كلية الطب بجامعة دمشق وذلك في مقاله في اللسان العربي ص ١٣٦ تحت عنوان : « للغة العربية طاقات خلاقة ، ولكن تنقصنا وسائل التنسيق » .

(٣٣) الاشتقاق والتعريب (للمغربي) ٤٨ .

(٣٤) انظر الجزء الاول ، صفحة (ج) ، وقارن بالمباحث اللغوية في العراق للدكتور مصطفى جواد ص ٨٦ .

(٣٥) قارن بكتابنا « دراسات في فقه اللغة » ص ٣٢٣ .

(٣٦) المزهر ١/٢٧٠ .

(٣٧) احرف الذلاقة ستة (برفلمن) .

(٣٨) المعرب للجواليقي ، وقارن بالجمهرة لابن دريد ص ١١ . (المقدمة) .

هذا الموقف على افاضة القول فيه في كتابنا « دراسات في فقه اللغة » (٣٩) ، واتينا فيه بشواهد يستحيل نقضها او دفعها ، الجئنا خلالها الى عد النحت من انواع الاشتقاق بيد اننا نود ان نقيد الضرورة فيه « بالقصوى » ،لان اساليب الاشتقاق الشائعة تغني عنه غالبا ، ولان للذوق دخلا كبيرا في النحت ، فما كل تركيب مزجي ترجم به لفظ اعجمي يثقل في السمع او يستكره ، ولا كل لفظ منحوت مختزل يخف في الاسماع ، وتكتب له السيرورة في المجتمعات .

ولان نقول:هذه السمكة من شائعات الزعانف (Acanthoptérigiens) خير واقرب الى الفهم من ان تقول « هي من الشوجينات » والذوق يمج وصف الحشرات بالمستجناحيات ، بينما يرضى عن وصفها بمستقيمات الاجنحة (Orthoptéres)وان المعنى ليستغلق على من يسمع او يقرأ تسمية عصبيات الاجنحة من الحشرات(Nérvoptères) بالعصجناحيات (٤٠) . ولا ريب في ان التركيب المزجي في جميع الامثلة المتقدمة أوضح دلالة واخف وقعا من الكلمات المختزلة ، بل ربما كان الطف في الاسماع واقصر في الرسم حتى من بعض الكلمات الاعجمية .

سادس عشر : وكما ادخلت اللغات الحية على بعض الفاظها العلمية صدورا وكواسع (Préfixes at Suffixes) من لغات الحضارة القديمة (كاليونانية واللاتينية) يسوغ الذوق احيانا ادخال مثل تلك السوابق واللواحق على بعض الالفاظ العربية . ويبدو لنا ان اساتذة جامعة دمشق لم يرتكبوا شططا حين اضطروا الى تعريب (Carbonyle) بالفحميل ، و (Formyle) بالنمليل ، و (Amyloide) بالنشوية ،و (Alcoyle) بالغوليل ، فقد ملكوا العربية المطواع بهذه الكواسع الفاظا علمية مختزلة يرضى عنها الذوق ولا يأباها نسيج الكلمة العربية، كما فعل هؤلاء الاساتيذ بمعجم كلارفيل (Clairville) الطبي (٤١) .

ومن الصدور التي نحسب ان لا ضير في ترجمتها لنؤلف بها على طريق النحت كثيرا من مصطلحات العلوم والفنون : الصدر اليوناني (A) الذي يكتب (An) امام الاحرف الصوتية ،ويفيد بكلا رسميه معنى النفي ، فقد قرر مجمع القاهرة ترجمته بكلمة لا النافية مركبة مع الكلمة العربية المنحوتة (٤٢) . ولقد صدر المجمع في قراره هذا عن المنهج الذي اخذ به المتقدمون انفسهم في التعبير عن الشيء الذي لا يتناهى باللامتناهي ، وعن الذي لا يدوم باللادائمي ، وعن طائفة من الفلاسفة العناديين باللاادريين ، فيسعنا ما وسعهم حين نقول اليوم : لا اخلاقي Amoral لا اجتماعي « Asocial » لا تناظري « Assymetrique »

لا هوائي Anaérobe (٤٣)

وحين يسوغ الذوق ترجمة صدر او كاسعة (Préfixe ou Suffixe) لتركيبها مع كلمة عربية نحتا واختزالا ، لا ريب انه سيكون اقرب الى تسويغ النحت في كلمتين عربيتين خالصتين يتألف منهما اصطلاح علمي مختصر ، فلا ضير في استعمال (الزمكان) (٤٤) نحتا من الزمان والمكان ، و « الحينب والحينبات » (٤٥) نحتا من الحيوان والنبات Zoophyle « والحيزمن » نحتا من الحيز والزمن Espace - temps (٤٦) ومقياسنا في هذا كله الذوق السليم الذي نرجو ان يصدق فيه قولنا : لا يجتمع ذوق المطبوعين على مستكره في السمع مستثقل على اللسان !

وفي ضوء هذه الملاحظات المميزة بوضوح بين الترجمة والتعريب، والمدققة في شروط التعريب بوجه خاص . والساعية الى توحيد المصطلحات لما يوضع من الفاظ العلوم والفنون ، يسعنا ان نكون على يقين من ان نقلة العلوم الحديثة في هذا العصر باتوا يعبرون اليوم عن خصائصها اصدق تعبير ، فما هي باللغة الجامدة الميتة ،بل هي اللغة المرنة المطواع التي كتب الله لها النماء والبقاء والخلود.

صبحي الصالح

---

(٣٩) انظر في كتابنا هذا الفصل الخامس من الباب الثالث من صفحة ٢٤٣ الى ٢٧٤ .

(٤٠) المصطلحات العلمية ص ٩٨ .

(٤١) طبع جامعة دمشق ، بالاشتراك مع الاساتذة الدكتور مرشد خاطر ، والدكتور احمد حمدي الخياط ، والدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي .

(٤٢) وكان قرار المجمع حكيما حين قيد هذا النوع من النحت بموافقته للذوق . فقد اذن باستعمال (لا) مركبة مع الاسم المفرد ، دون ان يتخذ قرارا باستعمالها دائما او عدم استعمالها دائما (مجلة المجمع ، المجلد ٦ ص ١٧٢) .

(٤٣) انظر في ترجمة هذه الصدور والكواسع على طريقة النحت مقالا ممتعا لساطع الحصري في مجلة التربية والتعليم سنة ١٩٢٨ (المجلد ٦ ص ٣٦١ ـ ٣٧٥) .

(٤٤) انظر على سبيل المثال (نظرية النسبية) للدكتور محمد عبدالرحمن مرحبا ،

(٤٥) هذه من نحت الاستاذ عزالدين التنوخي .

٤٦) المباحث اللغوية في العراق ص ٩٨ .

صدر حديثا عن دار الطليعة

الادب والثورة

تأليف ليون تروتسكي ترجمة جورج طرابيشي

اذا كان لكل طبقة في التاريخ ثقافتها وفنها الخاصان بها ، فان البروليتاريا تشذ عن هذه القاعدة بكونها لا تطمح الى بناء ثقافة بروليتارية وفن بروليتاري .

هذه هي الاطروحة المركزية لتروتسكي في هذا الكتاب الذي يعد من اجرأ الاقتحامات الماركسية لعالم الادب والفن انطلاقا من المبدأ الذي حدده على صفحات « البرافدا » في سنة ١٩٢٣ ـ يوم كان قائدا للجيش الاحمر ـ المبدأ القائل : ليس بالسياسة وحدها يحيا الانسان .

« الادب والثورة » كان منذ صدوره قبل نصف قرن وما يزال نصا عبقريا وروّيويا .

دار الطليعة ـ بيروت ص . ب ١١١٨١٣